الاتحاد والاقتصاد

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، ميزان سياسة الامم ونظام الاجتماع ، كثر في هذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما ، وشرح الكتاب لفوائدهما ، ولما يفقه الدهماء حقيقة معناهما ، بل لما يحط أكثر العلماء والزعماء منا خبرا بهما ، لان فقه الحقائق واحاطة الخبر لا يحصلان الا بطول التجارب في الحوادث ، والاصطلاء بنيران الكوارث ، بعد تلقي الحكمة بالتعليم ، والتربية على سلوك الصراط المستقيم

كنا منذ أنشأنا المنار في أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قد جعلنا أهم ماندعو اليه القراء في مصر وسائر البلاد ان يجعلوا جل عنايتهم في اصلاح شؤونهم بالتربية الملية التي تكون أمة متحدة والاقتصاد الذي تكون به الامة غنية تتصرف بثروتها في القيام بمصالحها كما تشاء . بثثنا هذه الدعوة في (المؤيد) في ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م . ر) وبغير امضاء . ثم أعدنا بثها في (الجريدة) في أول العهد بظهورها في مقالة عنوانها (الى أي شيء أنت يامصر أحوج) نشرناها أيضا في الجزء الثاني للمجلد العاشر من المنار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥

ونحمد الله تعالى ان رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد العزيزة ورأينا من نتائجه قرب الحصول على الاستقلال الذي نعتقد أنه لا ينال الا به . بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتي بالاستقلال المفقود ، وفقده يذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع ، منه على نيل الاستقلال الذي يرجى به و يتوقع ، فان الاتحاد اذا تم وانتصبت عروته قبل بدو صلاح ثمرته نفضت الشجرة أو خرجت الثمرة شيصا لا غناء فيها ، واذا انتكث فتله بعده ، زال أثره بزواله ، فاذا لا استقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ولما كان لكل ثمرة منظمة جهة وحدة تضبطها وتعرف بها وكان الوفد المصري هو عنوان الاتحاد الذي ارتقت اليه البلاد وعمله وجب على الشعب المصري أن يتعهد أن يظل مستمسكا بحبله معتصما بعروته ولا سيما بعد الذي ظهر من كفاءة أعضائه ، والا

كان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، وذهبت به جهلا وأفنا وخسرانا

ثم ليعلم علم تدبر أنه لاقوام لاستقلال الامم وحريتها الا بالثروة، ولاثروة الا بالاقتصاد، وان الاستقلال السياسي، متوقف على الاستقلال الاقتصادي، ونحن مقصرون في سبيل هذا الاستقلال تقصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كنا من الهالكين

ان للكسب والانفاق علوما وفنونا أتسع نطاقها في هذا العصر اتساعا عظيما لانها قطب الرحى لمدنية الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسيادتها، وقد برزت بها الامم الشمالية الغربية ، فاستعمرت أو استعبدت به الامم الشرقية والجنوبية، حتى ظن كثير من القاصرين ان الشعوب والاجناس أو الاقاليم الغربية، أعظم استعدادا بطبيعة العرق وخاصية الجنس من الشعوب الشرقية، ويبطل هذا القول ماهو معلوم من إن اليهود أرقى أهل الارض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المترتبة عليها، أينما وجدوا وحيثما حلوا من أقطار الارض، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه، وكذلك الشعب الياباني في الشرق الاقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب

ولكن الامر الغريب ان المسلمين في الشرق والغرب والجنوب والشمال لايزالون مقصرين في هذا المضمار، وبهذا التقصير أضاعت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها بين براثن الخطر، ويضيع أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي يزاحمهم فيها غيرهم ، فان كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال بيدهم فما ذلك من كسبهم بعلومهم وفنونهم وانما ذلك إرث رقبة الارض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها ، فهذه مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها نفقة عليها نراها مقصرة في هذا الاقتباس فجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية واليونانيين والسوريين يفوقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ الثروة من التبذير والضياع ، بل القليل من المصريين يفوقون المسلمين في ذلك عملا وثروتهم النسبية تفوق ثروة المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم وفي أيدي الاوربيين والسوريين ، بل أكثر المسلمين يعتمدون على كتبتهم في ادارة ثروتهم على أن المسلمين أشد اسرافا في الانفاق وتبذيرا للاموال منهم ومن سائر الشعوب التي نعرف أحوالها

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يعلله بادي الرأي بأن الدين الاسلامي هو السبب في الامرين . وهذا التعليل يضاهي في البطلان تعليل من عساه يقول ان الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى الغرب وسعة عيشهم وشدة سطوتهم وجبروتهم. والحق أن كلا من النصارى والمسلمين مخالف لهدي دينه ونصوص كتابه في الامرين، فالانجيل يهدي الى المبالغة في الزهد والقناعة والتواضع والخضوع لكل سلطان، وينص على أن الغني لا يدخل ملكوت السموات، والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين مطالب الروح والجسد كما بيناذلك وفصلناه مرارا كثيرة. ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله تعالى في أوائل سورة النساء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي جعل عليها مدار قيام مصالحكم ومرافقكم وحفظها وثباتها، وقوله في صفات المؤمنين من أواخر سورة الفرقان (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ونهى في وصايا سورة الاسراء عن المبالغة في قبض اليد وبسطها في الانفاق وعن التبذير وسمى المبذرين اخوان الشياطين . وهذه الوصايا هي أمهات أصول الدين وفضائله وآدابه، وهي تشمل الوصايا العشر التي في التوراة ماعدا بطالة يوم السبت ونزيد عليها . وفي السنة وصايا وأحكام كثيرة في ذلك

فالمسلمون مخالفون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات ، وهذا اذا كانت فيما أبيح لهم من الزينة والطيبات ، فكيف اذا كانت في المحرمات . ولا سيما الفواحش الثلاث المفسدات للفطرة المخربات للديار — السكر والزنا والقمار . وهم على هدمهم بذلك لدينهم ، يهدمون كل مابقي من صرح استقلالهم، وانني لم أر ولم أسمع من أخبار البشر أن شعبا منهم يعادي النقد الذي هو ميزان الاعمال والقوة في الاجتماع البشري كالشعب المصري، فالمصري أسرع الناس بذلا لما يصل الى يده من النقد فالمتمتعون بالزينة واللذات ينفقون في سبيلها ماتصل اليه أيديهم من كسب وقرض ولو بالربا الفاحش، وغير المتمتعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب وقرض بالربا أرضا أو عقارا، ولا يبالي أكثر الفريقين أن يشتري الشيء بأضعاف ثمنه وان استدان الثمن بالربا الفاحش لان النقد احقر الاشياء في نظره ولذلك ترى أكثر المصريين على سعة ثروتهم الزراعية مرهقين بالدين. فيجب على الزعماء والعلماء والخطباء

وكتاب الصحف أن يتعاونوا على درء هذا الخطر بوسائل العلم والعمل، والاظل للمتجرين منهم كالامراء الاجانب لان جل ما يتجرون يتسرب الى صناديق المصارف المالية وعائد المرابين وجيوب أصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار ومجار عروض الزينة والترف، وبعبارة أخرى ان جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجنبية

ومن الضروري أن يبادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها ارسال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد العلم في أوربة لاجل الاختصاص في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم جعلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها، والاستقلال المنتظر يزول ان شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا. واني رأيت في الهند معامل عظيمة للمنسوجات الاوربية — دع المنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد — وجميع عمال هذه المعامل من الوطنيين الا أني رأيت في معمل كبير في بمباي وجلين من الانكليز وظيفتهما اختيار قرش النسيج : ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تعميم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات للمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامنا لاستقلالها بنفسها وحريتها في التصرف بثروتها

﴿ نصيحة اقتصادية ﴾

إن هذا الغلاء الشديد الذي تئط من حمله جميع الامم — الذي كانت الحرب سببا طبيعيا[1] له وابتدع له الطامعون من التجار وغيرهم أسبابا صناعية وحيلا كثيرة — قد بلغ مده الغاية في حده ولم يعد للعمران قبل باحتماله ، ومن المقطوع به في علم الاقتصاد ان الاشياء التي قلت بقلة الايدي العاملة لاشتغال ألوف الالوف من البشر بالحرب عن الزراعة والصناعة ستكثر بعد عود تلك الايدي الى العمل فتجد المستهلكين للاقوات والمصنوعات قد قل عددهم اذ أهلكت الحرب خمسة وثلاثين مليونا من البشر منها

(١) القاعدة في النسبة الى فعيلة فعلي وصرحوا باستثنائها السليقة فقالوا سليقي في استعمل وجرى علماء المعقول وغيرهم على ذلك في النسبة الى الطبيعة لانها بمعنى السليقة

٢٥ مليونا في ميادين القتال على أوسط تقدير ، والباقي فيما تولد عنها من الادواء والامراض والمجاعات كما قيل ، ويوجد عشرات الملايين أو مئات الملايين من البشر في الشرق لا يزال يتقرب اهل البضائع الاوربية اليهم ، فلابد اذا أن يهبط أثمان البضائع والاقوات هبوطا عظيما ربما كان فوق تقدير المقدرين

فالواجب على كل عاقل حريص على ماله أن يتبع القاعدة المعقولة التي جرينا نحن عليها وكنا نوصي الناس بها وهي أن لا يشتري أحد شيئا ما قبل عودة الاسواق الى الاسعار المعتدلة الا اذا كان لا غنى له عنه وبعد البحث عن أسعاره في عدة مواضع ، ولا يغتر أحد بعد اليوم بحيل التجار بادعاء تنزيل الاثمان موقتا ودعوتهم الى ما يسمونه الفرصة العظيمة أو « الاكازيون » فان هذه الفرص ليست بموقتة وانما هم مضطرون الى الهبوط بها الى ما دونها فهم يغتنمون فرصة حاجة الناس الى الشيء والفهم انفلاته قبل الهبوط الشديد بالثمن المنتظر فالغنم لهم والغرم على من يصدقهم

بدأ احتقار التجار بنقص أسعار البضائع بالتدريج ولاسيما المنسوجة وقلل أغنياء الطامعين مصرين على ذهاب الناس بتلك الاسعار الفاحشة بل علمنا علم اليقين أن بعض الذين أعطوا الناس وجوب اغتنام الفرصة بالنقص الموقت من سعر البضائع قد زادوا في سعرها بعد ما كبوا على بطاقتها كما كانوا يفعلون في زمن الحرب والمدنية ولكن قل من ينخدع بعد اليوم بهؤلاء القساة المبتهجين للافلاس والفقر

الجود والاحسان

والمقابلة فيما بين نساء الانكليز اليوم ونساء الصحابة (رض)

نشرت جريدة التيمس منذ بضعة أشهر ما يأتي

قيل أحد اغنياء لندن بحافظها بن ايام وابلغه انه مستعد للتبرع بمئة وخمسين الف جنيه لانشاء حديقة في لندن تدعى حديقة النهر . وقد وعد هذا المحسن أن يتبرع بكل ثروته وتقدر باكثر من مليون للاعمال الخيرية قبل وفاته

واجتمع المؤتمر الانكليزي الكاثوليكي في لندن لاستدعاء الاكف لمساعدة الرسالات الدينية الخارجية وخطب الخطباء . قالت الديلي ميل فاخذت النساء يتزمن حليهن ويلقينها في الملب والبرانيط التي ادبرت على المجتمعين وتبرع كثيرون

بحوالات كتبوها باقلام استعارها بعضهم في الاجتماع وبعض هذه الحوالات بالف جنيه وبعضها بثماني مئة والبعض بخمس مئة. وقدر ما اجتمع من الحاجات ذات الديباج والحلي الاخرى بمئات الجنيهات . ونزعت احدى الحاضرات الحلية التي على حذائها وتبرعت اخرى بازرار اللؤلؤ التي على بلوزتها وتبرعت اخرى بقرطين صغيرين من الذهب والالماس نزعتهما من أذنيها وكان المجموع الاول ١٧٤٠٠ جنيه اه

الاعتبار بهذا الخبر

ذكرنا تبرع نساء الانكليز بملايين لمساعدة نشر دينهن ما ورد في الصحيحين من مثل ذلك عن نساء الصحابة (رض) ففي (باب عظة النساء) من كتاب العلم عند البخاري عن ابن عباس (رض) قال أشهد على النبي (ص) انه خرج ومعه بلال فظن انه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم و بلال يأخذ في طرف ثوبه .

وهذا الوعظ للنساء كان في يوم عيد الفطر ، خص النبي فيه النساء بالموعظة بعد الخطبة العامة لظنه انه لم يسمعهن لانهن كن يصلين ويجلسن وراء الرجال وأخرج البخاري الحديث في (باب موعظة الامام النساء يوم العيد) من (كتاب العيدين) عن جابر رض في تفسير سورة الممتحنة عن ابن عباس رض ويؤخذ من مجموع الروايات ان النبي (ص) شق صفوف الرجال بعد خطبة العيد حتى أتى النساء فقرأ عليهن آية المبايعة ثم قال لهن « هل أنتن على ذلك » ؟ فاجابته واحدة منهن نعم . ولما أمرهن (ص) بالصدقة قال لهن بلال : هلم لكن فداء أبي وأمي . فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال ، وزاد في رواية لمسلم الخلاخيل . فأما الاقراط فهي حلي الآذان وأما الفتخ وهي جمع فتخة فحلق تلبس في أصابع اليدين والرجلين .

والعبرة فيما تقدم من وجوه أهمها أن الافرنج اليوم أقرب منا الى هداية ديننا وسيرة سلفنا الصالح في أمور كثيرة وأهمها حياة الدين والغيرة عليه والبذل في سبيله ومشاركة النساء للرجال في حضور العبادة في المساجد مع الرجال وسماع المواعظ والتعاون على المصلحة العامة . ولا يبعد أن يعود نساؤنا الى شيء هداية دينهن اقتداء بالحسنات من نساء الافرنج كما يقلد الكثيرات منهن المسيئات الآن في الامور المنتقدة . ومن ديانة الحياة في الامة هذا كما [illegible]